

أندريه جيد

وأنديه جيد من أولئك الذين رفعوا راية العصيان وثاروا على مادية القرن التاسع عشر ، فاندفع عام ١٩٣٥ إلى اعتناق الشيوعية ولعل مدافع به إلى اعتناق الشيوعية هو إشفاقه على القيم الحضارية في الغرب أن تحيد وتنمحي فلم يجد بداً من التوجه إلى آفاق جديدة على أنه ما لبث قليلاً حتى عاد إلى رشد فكفر بالشيوعية ونارها ودماها .

ومن الأسباب التي دفعته أيضاً إلى اعتناق الشيوعية هو إيمانه بالحرية الفردية وبالعدالة والمساواة وقد رأى الشيوعية تنادى بتحقيق هذه المبادئ الإنسانية الرفيعة على أوسع نطاق عرفه التاريخ فأثار هذا حماسه للشيوعيين .

ولكن عند ما زار أنديه جيد روسيا وقد امتلأت نفسه أملاً وطار به خياله إلى تلك الجمهورية المثالية أو « المدينة الفاضلة » التي استطاع فيها الإنسان أن يحقق مشيئة الآلهة .

وانغمس وسط جموع العمال هناك وراح يفرك عينيه غير مصدق ما يرى . لقد رأى الكثيرين هناك يعيشون في بؤس وشقاء لا مثيل له في العالم المتحضر . كما رأى أندريه جيد الإنسان وقد استحال إلى آلة صماء .

وأندريه جيد بوصفه فناناً حراً فقد أثار سخطه القيود المفروضة على الفن في روسيا ، فكان يعتقد « أن الفن نفسه هو الحرية فحينئذ لا تكون حرية لا يكون فنا والقيمة الحقيقية للفنان إنما هي في قدرته على الثورة والمعارضة

وخير ما أختتم به هذه المقالة قطعة كتبها أندريه جيد على لسان فتاة عاشقة تطلب من ربه أن يعيد لها حبيبها الغائب . « رب إنك تعرف حق المعرفة أنني في حاجة إليه لأحبك ! يا إلهي ، هبني إياه أهبك قلبي .

يا إلهي ، دعني أراه فقط .

يا إلهي أعاهدك أن أعطيك قلبي فأجب هواي إلى طلبته ولن أهب إلا لك ما تبقى من حياتي .

يا إلهي ، غفرانك لهذه الصلاة الذليلة فما أملك أن أجنب اسمك شفق ولا أن أسلو آلام قلبي .

يا إلهي أني إليك أفزع فلا تعرض عني في محنتي » .

فيصل صالح مطوع

في العشرين من فبراير من العام الحالي توفي عميد الكتاب الفرنسيين « أندريه جيد André Jide » وكان قد أصيب بنوبة قلبية قبل وفاته بعشرة أيام أعقبها التهاب رئوي وضعف شامل حتى فاضت روحه إلى بارئها وكان إلى جانبه ابنته « كاترين » وزوجها الكاتب الشاب « جان لأمير » .

وقد ولد أندريه جيد في نوفمبر سنة ١٨٦٩ بباريس وتلقى تعليمه في المدرسة الإلزامية بها وكان تلميذاً بليداً للغاية وقد امتاز بالحصول على الصفر كل أسبوع ، وفي هذا يقول أندريه جيد « لقد كنت في سبات عميق كأنني لم أكن ولدت بعد ، لقد كنت أبله ونصف نائم » .

وكان أندريه جيد شخصية مزدوجة ويرجع ذلك الازدواج العجيب والتناقض المدهش في شخصية « جيد » إلى الوراثة . فقد كان أبوه « بروتستانتياً » من جنوب فرنسا وكانت أمه « كاثوليكية » من الشمال ولا يوجد أكثر من هذين الذهنيين تبايناً .

وقد أغناه ثراؤه عن الاشتغال بأي عمل من الأعمال فنفرغ للأدب واستمتع بحرية فردية تامة . وله عدة كتب أدبية رائعة منها « أوديب » وقد ترجمه إلى العربية الدكتور طه حسين ، والباب الضيق ترجمه الأستاذ نزيه الحكيم ، ومدرسة النساء للدكتور صبرى فهمي . ومن كتبه الأدبية الرائعة التي لم تترجم بعد الأغذية الأرضية « السينفونية — الريفية » ثم اليوميات التي تعد أعظم ما كتبه وفيها خلاصة فكره وأدبه وفلسفته وقوته في التعبير وبراعته في الأسلوب ، وقد ترجم أندريه جيد عن شكسبير وبوشكين وطاغور وغيرهم من أعلام الأدب .

ومنحته جامعة أكسفورد في يونيو سنة ١٩٤٧ الدكتوراه الفخرية في الآداب وكان هذا أول تقدير أدبي له رغم أنه كان في ذلك الحين قد بلغ الثامنة والسبعين من عمره وفي نهاية تلك السنة حاز أندريه جيد جائزة نوبل العالمية للأدب .

وكان أندريه جيد كاتباً حراً ولقد نصب نفسه محامياً عن المظلومين من الناس وفي زيارته « للسكونغو الفرنسي » عام سنة ١٩٢٥ انتقد سوء الإدارة فيه انتقاداً شديداً ونعى على البيض اضطهادهم للزنوج الوطنيين حتى اضطرت الحكومة الفرنسية إلى تأليف لجنة للتحقيق في هذه التهم .